اجتهادات
عالم الفانتازيا .. عالمان

حصد فيلم «شكل الماء» أربع جوائز فى مهرجان أوسكار، كما وُرد فى «اجتهادات» الأمس، رغم اتهام صانعيه باستنساخه من مسرحية نُشرت عام 1969، لم يؤثر الاتهام الذى جاء قبيل بدء التصويت على الجوائز، فى فيلم رائع فى معظم جوانبه الفنية، لأن فكرته شائعة ومتداولة يصعب احتكارها، وهى العلاقة بين إنسان وكائن خرافى (عاملة تنظيف بكماء ورجل برمائى فى هذا الفيلم).

تأملت الاحتفاء العالمى بالفيلم الذى ينتمى إلى عالم الفانتازيا، ولم أستطع تجنب التفكير فى الفرق الجوهرى الذى يفصله عن أفلام ومسلسلات مصرية يفترض أنها من العالم نفسه.

وكان صديق قد لفت انتباهى قبل أسابيع إلى المسلسل الدرامى «الكارما» الذى عُرض أخيرا فى إحدى القنوات الفضائية، ويُعد جزءاً ثانياً لمسلسل عُرض من قبل تحت اسم «الكبريت الأحمر». وكلاهما يخاطب من يعتقدون فى وجود العفاريت والجان وقدراتهم الخارقة، ويدعمان هذا الاعتقاد، ويغوصان فى عالم «سُفلي» يعتقد فيه أصحاب العقول الصغيرة، ومن لا عقل لهم. وعلى النقيض من ذلك، يوظف فيلم «شكل الماء» الأسطورة فى عمل فانتازى يهدف إلى الحث على التفكير فى شرور الحرب، وأخطار توظيف العلم من أجل القتل والتدمير، فضلاً عن إدانة العنصرية. وتبدو الأسطورة فيه رمزاً للفطرة التى ترفض العنف وسباقات التسلح، وبداية لمرحلة تقود إلى المعرفة.

فى فيلم «شكل الماء» للمبدع الأمريكى ـ المكسيكى الأصل جويلرمو ديل تورو، تداخل وتقاطع بديعان بين الأسطورة والعلم، أو بين عالم فانتازى وعالم الواقع المؤلم، بل نجد ما يربط بين ماض خرافى عبر إعادة تقديم فكرة شائعة فى صورة مبتكرة، وقصص تتعلق بالمستقبل والخيال العلمي. وكل هذا فى عمل غير عادى فى محتواه ورسائله، وقبل ذلك فى مستوى إبداعه نصاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً وموسيقي.

وهكذا يُوظف الإبداع الحقيقى فكرة فانتازية على نحو يجعله منبت الصلة بمثله فى أعمال فنية مصرية، بحيث يبدو عالم الفانتازيا نفسه وكأنه عالمان. فأين فيلم «شكل الماء» من أفلام تغرق فى أوحال السحر، على نحو لا يؤدى إلا إلى تدعيم اعتقاد من يؤمنون بعالم العفاريت والشياطين فى صحة أوهام تُلغى عقولهم، ومن ثم تكرس التخلف فى مجتمع لم يعد ينقصه مزيد منه.